الكتب والأجزاء المقروءة
في جوامع ودور الحديث بدمشق
العمرية

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين
الإمام عبد الرحمن بن الجوزي
(٥٠٨ – ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق
محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية



المدرسة التي قُرِئَ فيها الكتاب

المدرسة العُمَرية

أسس الإمام أبو عمر بن قدامة المقدسي المدرسة العمرية سنة (٥٥٧هـ) تقريباً في الصالحية بدمشق، وكان يطلق عليها اسم الشيخة لأنها أكبر مدارس دمشق؛ وذلك لكثرة شيوخها وطلّابها، وتعدَّدت فيها دروس العلم كحفظ القرآن وعلومه، ورواية الحديث، وتدريس الفقه على المذاهب الأربعة مع العناية الخاصّة بالفقه الحنبلي، وبلغ من مكانتها العالية عند الحكام أنه إذا دخل إليها غريم لا يعاقب.

قال ابن عبد الهادي: «هذه المدرسة عظيمة، لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها»، وكان فيها مكتبة تُعَدُّ أكبر مكتبة على الإطلاق في دمشق.



الصورة التي في الغلاف
تمثِّل منبر الجامع الأُموي الأنور
وأرضية الكتاب بخط ابن الجوزي

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

ابن الجوزي
زينة الواعظين ودُرّة النّاصحين

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إلـه إلاَّ الله عدة للقائه

الحمد لله على سوابغ نعمه، والصلاة والسلام على سيِّد رسله، وعلى آله وصحبه وحزبه.

أما بعد:

فقد أجمعت كتب التراجم على مكانة الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي، المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، وعلوِّ رتبته في الوعظ والعناية بأعمال القلوب.

فهو إمام هذا الميدان وفارسه الذي لا يشق له فيه غبار، ولا يلحق شأوه فيه، وقد لان له الوعظ كما يلين الحديد في يد صانعه والعارف به، فإنه «الحافظ الواعظ، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنَّفات الكبار والصغار، وتفرَّد بفنّ الوعظ الذي لم يُسبق إليه، ولم يُلحق شأوُه فيه، وفي طريقته

وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته، وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه»[1].

وكان يحضر مجلسه الكبار والصغار، فقد «كان ذا حظّ عظيم وصيِّتٍ بعيدٍ في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والأمراء والوزراء، وبعض الخلفاء والأئمة الكبراء»[2].

و «أقلّ ما كان يحضر في مجلسه عشرة آلاف، وأوقع الله له في القلوب القَبول والهيبة، وكان زاهداً في الدُّنيا، متقلِّلاً منها»[3].

وذلك لأنه: «. . . كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب ويعجب ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيِّب، والوقع في النفوس وحُسن السيرة»[4].

«وحاصل الأمر أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمَع بمثلها، وكانت عظيمة النفع: يتذكر بها الغافل، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون،

---

(١) ابن كثير: «البداية والنهاية» (١٣/ ٣١، ٣٢).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧٠).

(٣) نقله ابن العماد في: «شذرات الذهب» (٤/ ٣٣٠) عن سبطه أبي المظفر.

(٤) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٦٧).

ويتسنن فيها المبتدعون»[1].

وخير من يصف لنا هذه المواعظ البليغة والمجالس الغريبة العجيبة هو من حضرها ووصفها لنا وصفاً دقيقاً كأننا نسمعها ونراها، ألا وهو المؤرِّخ الرحَّالة الأندلسي ابن جبير حينما مرَّ ببغداد ــ دار السلام ــ وهو حاج، حيث سجَّل لنا هذه المجالس بدقة متناهية، فقال:

«شاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفَرَا كل الصيد، آية الزمان، وقرَّة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العليّة، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمَّة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدُّرِّ، فأما نظمه فرَضِيّ الطباع مِهْياري الانطباع[2]، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطلُ المَثَلَ بقَسٍّ وسَحْبان.

ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر، ويبتدِئ القُرَّاء بالقرآن، وعددهم نيَّفَ على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة، يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات،

---

(١) صدِّيق حسن خان: «التاج المكلل» (ص ٦٧).

(٢) رضي الطباع: أي أنه شبيه في طبعه بالشريف الرضي الشاعر، ومهياري: أي أنه يشبه مهيار الديلمي، الشاعر المعروف أيضاً.

لا يكاد المتّقد الخاطر يحصيها عدداً، أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته، عَجِلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دُرراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فِقَراً، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدماً ولا مؤخراً.

ثُمَّ أكملِ الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أنَّ أبدع مَنْ في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القُرَّاء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مُرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عَجِلاً، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: ١٦]، **فحدِّث ولا حرج عن البحر وهيهات**، ليس الخَبَر عنه كالخُبر!

ثُمَّ إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيِّنات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردد بشهَقَاتِه النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفَراش على المصباح، كل يلقى ناصيته بيده، ويمسح على رأسه داعياً لها، ومنهم من يُغشى عليه، فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابةً وندامة، ويذكِّرها هول يوم القيامة.

فلو لم نركب ثَبَجَ البحر، ونعتسف مفازات القفر إلاَّ لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن مَنَّ بلقاء مَنْ يشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله. . .

وفـي أثنـاء مجلسـه ذلـك يبتـدرون المسـائـل، وتطيـر إليـه الرقاع، فيجاوب أسرعَ من طَرْفَـة عين. وربّما كان أكثر مجلسه الرائـق مـن نتائـج تلك المسائل، والفضـل بيـد الله يؤتيـه مَـن يشـاء، لا إلـٰه سواه.

ثُمَّ شاهـدنا مجلسـاً ثانيـاً لـه، بُـكرةَ يـوم الخميس الحادي عشـر لصفر، بباب بَدْر في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مُشْرِفة عليه.

وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخُصَّ بالوصول إليه والتكلُّم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفةُ ووالدتُه ومن حضر من الحُرَم.

ويُفْتَح الباب للعامّة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بُسِط بالحُصُر.

وجلوسه بهذا الموضع كلّ يوم خميس.

فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحَبْر المتكلّم، فصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطّر القرّاء أمامه على كراسيّ موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوّقوا ما شاءوا، وأطربوا ما أرادوا، وبدرت العيون بإرسال الدموع.

فلمّـا فـرغـوا مـن القـراءة، وقـد أحصينـا لهـم تسـع آيـات مـن سـور مختلفـات، صـدع بخطبتـه الزّهراء الغـرّاء، وأتـى بأوائل الآيات فـي أثنـائهـا منتظمـات، ومشـى الخطبـةَ علـى فِقْـرَة آخـرِ آيـة منهـا فـي

الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الآية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٦١]، فتمادى على هذا السّين[١]، وحسَّن أيّ تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه.

ثُمَّ أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها بالسّتْر الأَشْرَف، والجناب الأرْأف.

ثُمَّ سلك سبيله في الوعظ، كلّ ذلك بديهةٌ لا رَوِيّة؛ ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى.

فأرسلت وابلَها العيونُ، وأبدت النفوس سرّ شوقها المكنون، وتَطَارَحَ الناسُ عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبةِ مُعْلِنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوَلَه والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً، ولا تميِّز معقولاً، ولا تجد للصبر سبيلاً.

ثُمَّ في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرّحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وَجْداً، ويعود موْضعها النّسيبـيّ زُهْداً. وكان آخر ما أنْشده من ذلك، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المَقَاتلَ سهامُ ذلك الكلام:

أيــن فــؤادي أذابــهُ الــوجــدُ	وأيــن قلبــي فمــا صحــا بعــدُ
يـا سعـدُ زِدنـي جوًى بـذكـرهـمُ	بــالله قُـلْ لـي فُـديـتَ يـا سعـدُ

(١) أي في الكلام المسجوع بحرف السين.

ولم يزل يُرَدِّدها والانفعال قد أثَّر فيه، **والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه**، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دَهِشاً عَجِلاً، **وقد أطارَ القلوبَ وَجَلاً**، وترك الناس على أحرّ من الجمر، **يشيِّعونه بالمدامع الحُمْر**. فمن مُعْلِنٍ بالانتحاب، ومن متعفِّرٍ في التراب. فيا له من مشهدٍ ما أَهْوَلَ مرآه، وما أسعد من رآه!

وفي أول مجلسه أنْشد قصيداً نيِّر القَبَس، عِراقيّ النَّفَس، في الخليفة، أوله:

فــي شُغُــلٍ مِــنَ الغَــرامِ شــاغــلِ   مَن هاجَهُ البرقُ بسفحِ عاقِلِ

يقول فيه عند ذكر الخليفة:

يــا كلمــاتِ الله كــونــي عُــوذَةً   مِــن العيــون لــلإمــام الكــامــلِ

ففرغ مِن إنشاده وقد هزَّ المجلسَ طَرَباً.

ثُمَّ أخذ في شأنه وتمادى في إيراد سحر بيانه. **وما كنّا نحسب أنَّ متكلماً في الدنيا يُعطى من ملكة النفوس والتلاعُب بها ما أُعْطِيَ هذا الرجل**، فسبحان مَن يخصّ بالكمال مَن يشاء مِن عباده، لا إلـٰه غيره.

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه مِن وُعّاظ بغداد ممَّن نستغرب شأنه، بالإضافة إلى ما عهِدناه من متكلِّمي الغرب.

وكنّا قد شاهدنا بمكة والمدينة، شرَّفهما الله، مجالس مَنْ قد ذكرناه في هذا التقييد، فصغرت، بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذّ، في نفوسنا قدراً، ولم نستطب لها ذكراً.

وأين تَقَعَان مما أريد، وشَتّان بين اليزيدَيْن[1]، وهيهات! الفتيانُ كثير، والمثل بمالكٍ يسير! ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه، ويروق استطلاعه.

وحضرنا له مجلساً ثالثاً، يوم السبت الثالث عشر لصفر، بالموضع المذكور بإزاء داره على الشطّ الشرقي، فأخذت معجزاتُه البيانيّة مأخذَها، فشاهدنا من أمره عجباً؛ صعّد بوعظه أنفاس الحاضرين سُحُباً، وأسال من أدمعهم وابلاً سَكباً، ثمَّ جعل يردِّد في آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقاً زهديّاً وطرباً، إلى أن غلبته الرقّة فوثب من أعلى منبره والِهاً مكتئباً، وغادر الكلّ متندّماً على نفسه منتحباً، لهفان ينادي: يا حسرَتا واحَرَبا، والنادبون يدورون بنحيبهم دَوْرَ الرحى، وكلّ منهم بَعْدُ من سَكْرته ما صَحَا، فسبحان من خلقه عبرةً لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إلـه سواه»[2].

* وهذه المواهب والعطايا التي وهبها المولى له مبنية على عدّة أشياء، والتي منها:

١ ـ ورعه وتديُّنه وصلته بربّه وكثرة عبادته، وعنايته بكتاب الله الكريم وإعراضه عمّا يشغله عن ذلك:

فإنه: «كان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وما مازح أحداً قطّ، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقّن حِلّها، وما زال

---

(١) مثل منتزع من البيت المشهور لربيعة الرقي:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر بن حاتم

(٢) «رحلة ابن جبير» (ص ١٩٦ ـ ٢٠٠ ط دار صادر).

على ذلك الأسلوب إلى أن توفّاه الله تعالى»[1].

وعليه فلا عجب إذا قيل عنه: «ابن الجوزي يمثِّل لنا زهد ابن حنبل»[2].

«وكان يختم في كل أسبوع ختمة»[3].

ولذا تراه يقول في مناجاته لربِّه: «**إلـٰهي! لا تُعَذِّب لساناً يُخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب حديث رسولك، فبعزَّتك لا تدخلني النار؛ فقد عَلِمَ أَهْلها أنِّي كنتُ أذبُّ عن دينك**»[4].

ومع هذا فقد كان يقول لنفسه: «احذري من الإخلاد إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى الزَّمنى»[5].

٢ ــ قوة ذاكرته، وسرعة حفظه، وحضور بديهته:

فإنه قد رزق ذهناً حاضراً وذاكرة وقّادة، فحفظ القرآن الكريم، وكثيراً من كتب السُّنَّة كـ «الصحيحين»، و «المسند الأحمدي»، وقد وصفه العلماء بالحفظ وكثرة الاطِّلاع على متون الحديث، ومشاركته في كل علم[6].

---

(١) «شذرات الذهب» (٤/ ٣٣٠) لابن العماد نقلاً عن سِبْط ابن الجوزي.

(٢) من تصدير محققة كتاب «سلوة الأحزان» له (ص ١١).

(٣) «طبقات المفسرين» للداوودي (١/ ٢٨١).

(٤) «شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ٣٣٠).

(٥) «صيد الخاطر» له (ص ١١٩، ١٢٠).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٦٧، ٣٧٣).

وغير ذلك من المواهب التي يطول المقام فيها مما نحن بصدد تجليته، ألا وهو ميدان الوعظ، وقد رأيت من المناسب أن أسوق لك جوانب من مواعظه الغالية، وشذرات من غُرر كلماته الزَّاهية التي تفرَّد بها، فخذ هذه الغرر من الدُّرر.

* * *

قَبَسَاتٌ لامعة وكلماتٌ جامعة
من لطائف مواعظه

• معلوم أنَّ الواعظ طبيب لأمراض الذنوب، ومصلح لأمزجة القلوب، فإذا رأى يائساً منّاه، أو آمناً خوَّفه، فهو يقاوم الأمراض بأضدادها[1].

• التخويف سوط يسوق النفس عن ديار الكسل، وما تظنّه تعذيب تهذيب، ورب تقويم بالكسر، . . .[2].

• اعلم أنَّ الرياضة للنفس تكون بالتلطُّف والتنقُّل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤخذ أوَّلاً بالعنف ولكن بالتلطُّف، ثم يمزج الرغبة والرهبة، وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيعدّها لنفسه، فإذا صلَّى بالليل أطعمها، وما زال المحقِّقون يلطفون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها . . .[3].

---

(١) «المقلق» له (ص ٢٨).

(٢) «اللطائف في الوعظ» له (ص ١٣٧).

(٣) «الطب الروحاني» له (ص ٥٨).

• اْسمعوا نصيحة مَنْ قد جَرَّب وخَبُرَ، إنه بقدر إجلالكم لله عزَّ وجلّ يجلُّكم، وبقدر تعظيم قدره واحترامه يُعَظِّم أقداركم ويحترمكم.

ولقد رأيت ـ والله! ـ مَنْ أنفق عمره في العلم إلى أن كَبِرَت سِنُّه، ثُمَّ تعدَّى الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه وقوَّة مجاهدته.

ولقد رأيت مَن كان يراقب الله عزَّ وجلّ في صبوته ـ مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم ـ فعظَّم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير[1].

• الهوى يسري بصاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون، وقد يكون الهوى في العلم فيخرج صاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم، وقد يكون في الزهد فيخرج به إلى الرياء...[2].

• ومما يهوِّن الهوى أن يتفكر الإنسان في نفسه، فيعلم أنه لم يخلق لموافقة هواه، فإن الجمل يأكل أكثر منه، والعصفور يسافد أكثر، والبهائم مطلقة في محبوباتها من غير حصر ولا يشوبهم غمّ، فلما نقص حظّ الآدمي من الشهوات، ثُمَّ شيبت بالنقص علم أنه لم يخلق لذلك[3].

---

(١) «صيد الخاطر» له (ص ٢٢٩).
(٢) «ذمّ الهوى» له (ص ١٢، ١٣).
(٣) «الطب الروحاني» (ص ٨، ٩).

• إخواني، إلى كم تماطلون بالعمل؟! وتطمعون في بلوغ الأمل، وتغترون بمنحة المهل، ولا تذكرون هجوم الأجل؟

ما ولدتم فللتراب، وما بنيتم فللخراب، وما جمعتم فللذهاب، وما عملتم ففي كتاب مدَّخر ليوم الحساب:

ولـــو أنَّـــا إذا مِتْنَـــا تُـــرِكنـــا ... لكـــان المـــوت راحـــة كـــل حـــيْ
ولكنـــــا إذا متنـــــا بعثنـــــا ... ونُســـأل بعـــده عـــن كـــل شـــيْ[1]

• عجباً لك، لا الدهر يعظك، ولا الحوادث تنذرك، والساعات تعد عليك، والأفعال تعد منك، وأحب أمرَيْك إليك، أعودهما بالضرر عليك[2].

• ما رأيت أكثر أذًى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإنَّ الطبع يسرق، فإن لم يتشبه بهم، ولم يسرق منهم، فتر عن عمله. وإنَّ رؤية الدنيا تحثّ على طلبها، وقد رأى رسول الله ﷺ ستراً على بابه فهتكه وقال: «ما لي وللدنيا»، وكذلك رؤية أرباب الدنيا ودورهم وأحوالهم[3].

• يا هذا، الأيام ثلاثة: أمس قد مضى بما فيه، وغد لعلَّك لا تدركه، وإنما هو يومك هذا، فاجتهد فيه، ولله درّ مَن تنبَّه لنفسه، وتزوَّد لرسمه، واستدرك ما مضى مِن أمسه قبل طول حبسه[4].

---

(١) «بحر الدموع» له (ص ٤٢).
(٢) «المدهش» له (ص ٢٦١).
(٣) «صيد الخاطر» (ص ٣٦٣).
(٤) «التبصرة» له (١/ ١٥٣).

● أعجب الأشياء، اغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله الإصلاح فيما بعد. وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للاغترار حدّ.

فكلما أصبح وأمسى معافى زاد الاغترار، وطال الأمل.

وأيّ موعظة أبلغ من أن ترى ديار الأقران، وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثُمَّ لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك، هذا ـ والله ـ شأن الحمقى، حاشا مَن له عقل أن يسلك هذا المسلك.

بل ـ والله ـ إنَّ العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزوَّد عند القدرة على الزاد لوقت العسرة[1].

● كم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين، وكم أحبطت من أجور العاملين، وكم جلبت من سخط رب العالمين.

فالغيبة فاكهة الأرذلين، وسلاح العاجزين، مضغة طالما لفظها المتقون، نغمة طالما مجَّها أسماع الأكرمين.

فرحم الله امرءًا لم يفسد عبادةً يهديها إلى حضرة العزيز الرحيم، بلقمة حرام تعقب طعام الزقّوم، وشراب الحميم، فهي كلمة ما استحلاها إلاَّ طبع لئيم[2].

● عقارِبُ المنايا تلسعُ، وخَدَرانُ جسمِ الآمالِ يمنَعُ، وماءُ الحياة في إناءِ العمر يرشح[3].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص ٢٩١).

(٢) «التذكرة في الوعظ» له (ص ١٢٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧١).

● يا مؤخِّراً توبته بمطل التسويف، لأي يوم أجّلت، كنت تقول إذا شبت تبت.

فهذي شهور الصيف عنّا قد انقضت، ففي كلّ يوم تضع قاعدة الإنابة ولكن على شفا جُرف، كلما صدقت لك في التوبة رغبة حملت عليها جنود الهوى حملة فانهزمت.

ويحك تَعَطَّرْ بالاستغفار، فقد فضحتك روائح الذنوب.

اذبح حنجرة الهوى بسكين العزيمة، فما دام الهوى حيًّا فلا تأمن قَلْبَ قَلْبِكَ.

● اكتب بمداد الدمع حُسْنَ الظنّ إلى مَن يحقِّقه، ولا تقنع في توبتك إلاَّ بمكابدة حزن يعقوب أو بصبر يوسف عن الهوى، فإن لم تطغ فبذلِّ إخوته يوم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾[1].

● الأيام تُبسط ساعاتٍ، والساعات تبسط أنفاساً، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم[2].

● العلم والعمل توأمان، أمُّهما عُلُوُّ الهمّة.

أيُّها الشاب! جوهِرْ نفسَك بدراسة العلم وحلِّها بحلية العمل، فإن قبلت نصحي لم تصلح إلاَّ لصدرِ سرير، أو لذروة منبر.

---

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي (ص ١٥، ١٦).

(٢) «لفتة الكبد» له (ص ١٤).

مَن لم يعمل بعلمه لم يدرِ ما معه، حامل المسك إذا كان مزكوماً فلا حظّ له فيما حمل، بحر قلب العالم يقذف إلى ساحل اللفظ جواهر النطق. فتلتقطها أكفُّ الفَهْم، تالله أنَّ العالِم لخاتم خنصر الدهر.

العلماء غرباء في الدنيا لكثرة الجهّال بينهم، **تصنيف العالِم ولدُه المخلد**، العالم عَلَم.

أيُّها المعلم تثبت على المبتدئ، وقدِّر في السرد، فالعالم رسوخ، والمتعلم قلق[1].

ثُمَّ مسك الختام وختام المسك:

● الإخلاص مسكٌ مصونٌ في مسك القلب، ينبه ريحه على حامله.

العمل صورةٌ والإخلاص روح، إذا لم تُخْلص فلا تتعب، لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجًّا إلاَّ بشهود الموقف، ولا تغترَّ بصورة الطاعات، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القَبول، سوق الإخلاص رائجة رابحة ليس فيها كساد، المخلص يعدُّ طاعاتِه لاحتقارها عَرَضاً، وقلم القَبول قد أثبتها في حيِّز الجوهر[2].

* * *

(١) «اللطف في الوعظ» (ص ٤٣).
(٢) المصدر السابق (ص ٢٧).

تلك جولة في رحاب زينة الواعظين، ودُرَّة الناصحين الإمام ابن الجوزي، وقد ألمعت فيها إلى جانب واحد من جوانب حياته العلمية[1] المزدحمة بجلائل العلم، ولم أُشِر إلى مؤلَّفاته التي أربت على الأربعمائة، وإنما ذكرت هذا الجانب الذي فاق فيه الأقران والشيوخ، ألا وهو الوعظ؛ ومع ذلك فقد زار بغداد أحد الوعّاظ الغرباء فأقبل أهل بغداد عليه وهو لا يبلغ بلاغ ابن الجوزي في العلم والوعظ، ولكن المُعاصرة والمُساكنة حجابٌ ساتر؛ فقال ابن الجوزي هذه الأَبْيَات الأَبِيَّات معرِّضاً ببعض بني قومه[2]:

عَـذِيـريَ مـن فتيـةٍ بـالعـراق	قلـوبهُـمُ بـالجفـا قُلَّـبُ
يَـرَوْنَ العجيـبَ كـلامَ الغـريـبِ	وقـولُ القـريـب فـلا يُعْجِـبُ
ميـازيبُهـم إن تنـدَّتْ بخيـرٍ	إلـى غيـر جيـرانِهـم تُقْلَـبُ
وعـذرهُـمُ عنـد تـوبيخهـمْ	(مُغَنِّيَـةُ الحـيِّ مـا تطـرب)

ومع هذا فلم يضرَّه هذا الإعراض وما زاده إلاَّ رفعةً وعلوّاً وتخليداً لمؤلَّفاته:

فَمَضَـى وقَـدْ أَبْقَـى مـآثِـرَهُ	ومِـنَ الـرِّجـالِ مُعَمَّـرُ الـذِّكْـرِ

* * *

(١) أشرتُ إلى الجوانب المضيئة العلمية في حياة ابن الجوزي في تقديمي لكتابه الآخر «حفظ العمر» فانظره إن شئت.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلّكان (٣/ ١٤١)، و «الخطاط ابن البواب» للعلاَّمة محمد بهجة الأثري (٢/ ١٨).

وصف النسخ المعتمدة في نشر هذه الرسالة

اعتمدتُ في تحقيقي لهذه الرسالة على ثلاث نسخ خطية ومطبوعة:

الأولى: نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ حرسها الله تعالى ـ ضمن مجموع برقم (٣٧٦٥ عام/ ٢٨ مجاميع)، وتقع في (٨) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٠) سطراً، وهي بخط نسخي معتاد، وعليها سماع على طرّة الكتاب سنة (٧٦٦هـ)[١]، ولم يكتب اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

الثانية: نسخة دار الكتب المصرية برقم (٢٣٨٠)، وتقع في (٦) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٣) سطراً، وهي بخطٍّ نسخي معتاد، وقد كان الانتهاء من نسخها سنة (١٠٩٨هـ)، ولم يكتب اسم الناسخ[٢].

---

(١) ولم يكن السماع الذي فيها واضحاً، مع رؤيتي للأصل المخطوط، اللَّـٰهُمَّ إلا تاريخ السماع وذكر أنه بسفح قاسيون، وقد ذكر الأستاذ ياسين السواس في «فهرس مجاميع العمرية» (ص ١٤٦) هذه النسخة حيث يقول: «نسخة قديمة عليها سماعات، وهي مصححة، أَضَرَّت بها الرطوبة والأرضة، وهي من كتب المدرسة العمريّة».

(٢) وقد جاد عليَّ بتصوير هذه النسخة أخي الغالي الشيخ مهدي الحرازي اليماني، المقيم في القاهرة، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء.

الثالثة: نسخة شستربتي، وهي برقم (٣١٠١) ضمن كتاب ابن طولون «الأحاديث المسموعة في مدارس دمشق» من ورقة (٥٢ ـ ٥٤)، وقد ذكرها كلها مع اختصار ويسر، وقرأها على شيخه ابن عبد الهادي، وهي بخطه.

الرابعة: النسخة المطبوعة في مطبعة الجوائب باستنبول سنة (١٣٠٢هـ) ضمن مجموعة رسائل.

هذا وقد عنيت بهذه الرسالة، ولم أعتمد على نسخة بعينها؛ وإنما لفقت بين الجميع مثبتاً ما رأيت أنه أقرب إلى الصواب، مع الاعتماد الكلي على نسخة الظاهرية، ولم أذكر الفروق حتى لا ينشغل القارئ بذلك؛ فإن الرسالة وعظية توجيهية، وقمت بتخريج ما فيها من الأحاديث، وعزو الأقوال التي فيها بقدر الاستطاعة مع الترجمة لهم في الغالب.

* * *



نماذج من صور المخطوطات المعتمدة في التحقيق



الورقة الأولى من نسخة الظاهرية

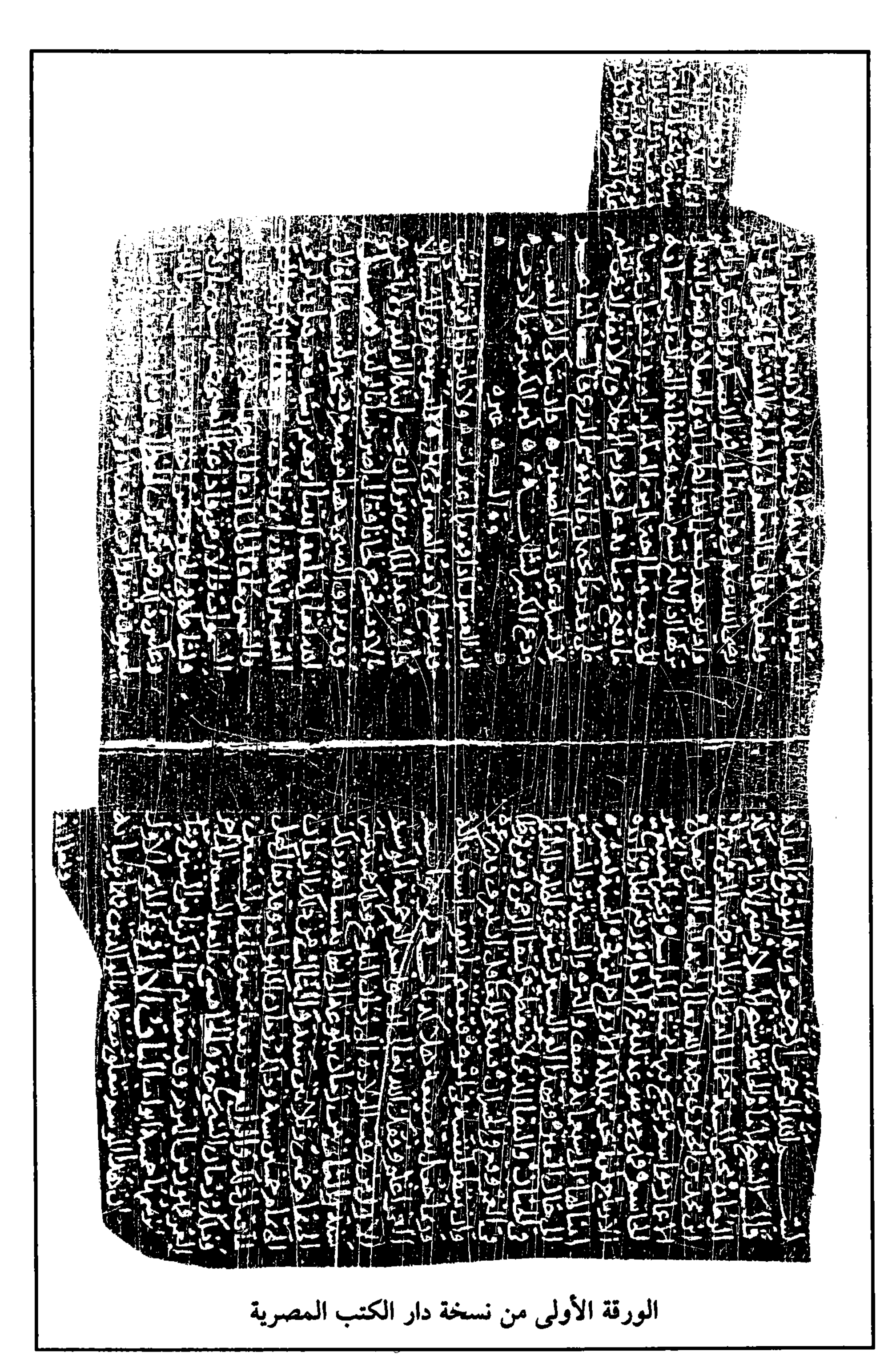
الشباب ح

شرف المرء وقيمته ما يفرط في لحظه منه ✽ فليبسط العبد
في حراسة بضاعته ✽ وليحفظ الامهل بقدر استطاعته
وليتزود الشيخ اللحاق جماعته ✽ ولينتظر المرء ان كان — جماعته
لو حلت به ساعته ✽ نفعنا الله واياكم بعلومنا ✽
ولا اسلبنا واياكم فهومنا ✽ ومتعنا باسماعنا وابصارنا — فوايد
ولا جعل علمنا حجة علينا انه ولي ذلك والقادر عليه
تم الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

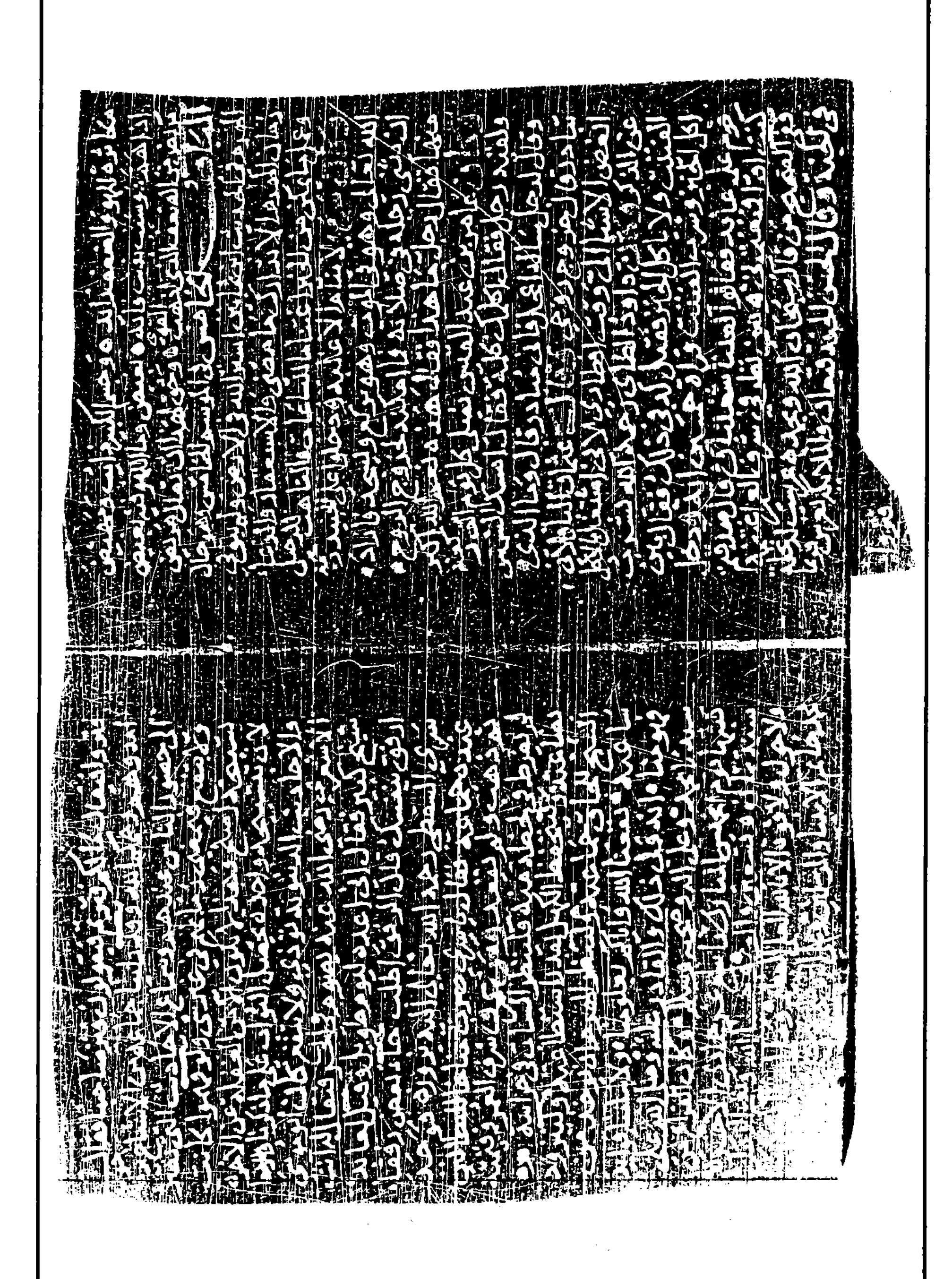
الدعا لكل ايام للمذاكرة المستجابة على قوامها

دعا يوم السبت اللهم انا نسالك يا من لا مانع لما وهب
ولا معطي لما سلب ولا [illegible] لما حجبت وانت الذي
[illegible] ادعيا في سيلان اصطفيت
[illegible] وخزايب ارزقنا الاحلام في [illegible]
[illegible] لاتجعلنا ممن يقول عند
السوال [illegible] فقالت له [illegible] واحللنا
دار كرامتك [illegible] صنعك ما اعدد
واعنت وارزقنا الله اولنا النظر الى وجهك
الكريم اذا [illegible] وارزقنا
اعلام الطاعات في الساعات والسعيد من
[illegible] والحسن والسنا القضايا

الورقة الأخيرة من نسخة الظاهرية



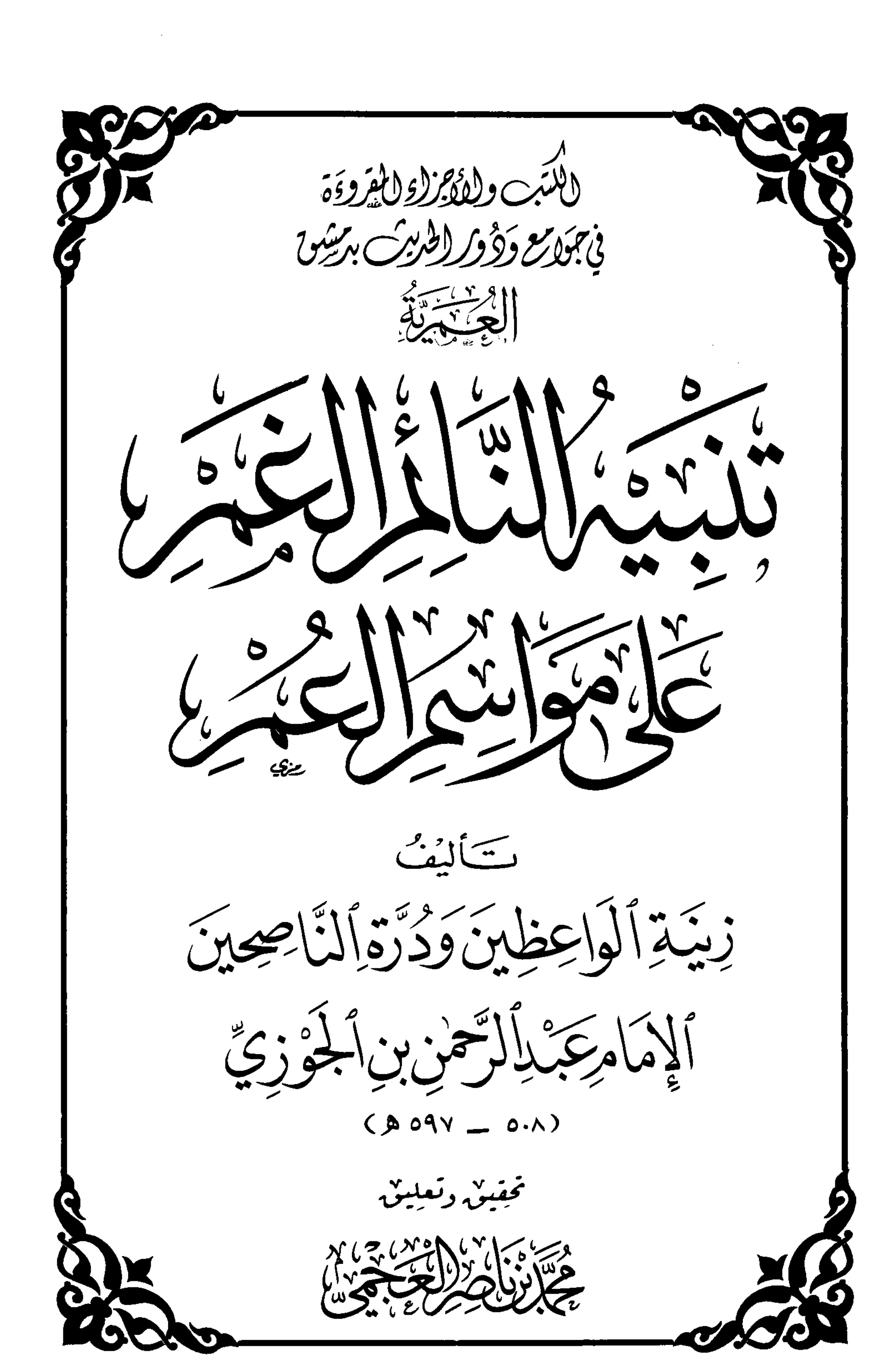
الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية



الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

الورقة الأولى من النسخة المنتقاة بخط ابن طولون الدمشقي





الكتب والأجزاء المقروءة
في جوامع ودور الحديث بدمشق

العمرية

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي



بسم اللّه الرحمن الرحيم
رَبِّ يسِّر بِخَيرٍ يا كَرِيمُ، وصلِّ على محمّدٍ

قال الشيخ، الإمام، الحَافِظ، جمال الدِّين أَبو الفَرَج عبد الرحمن ابن علي الجوزي ــ عفا الله عنه، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين:

الحمد لله الذي جعلَ الأَعمار مواسم، يربح فيها ممتثل المَراسم[1]، ويخسرُ المُضيِّع الخير الحاسم، فهي موضوعةٌ لبلوغ الأمل، ورَفْعِ الخَلِلِ، وافرةٌ زائدةُ الأَرْبَاح لمن اتَّجَرَ، مهلكة الأرواحِ لمن فَجَرَ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف وأكثر، والسيئة ترد المستقيم إلى حال مكدَّر مُعَثَّر.

وبهذا العمر اليسير يشتري الخلود الدائم في الجنان، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرَّحمن، ومن فرَّط في العمر وقع في الخسران، فواخيبةَ المفرِّط الحيران.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنمَ ما يفوت استدراكُه، وربما حصل بتضييعه هلاكُه.



(١) أي: القائم بفعل الأمور.



بـــاب:
ذكر مَواسِمِ العُمُرِ

فاعلم ــ وفقك الله ــ أنَّ مواسم العمر خمسة:

* **الموسم الأول**: من وَقْتِ الولادَةِ إلى زمانِ البُلوغِ، وذلك خَمْسَ عَشرة سَنَةً.

* **والموسم الثاني**: من زمان بلوغِهِ إلى نهايةِ شبابِهِ، وذلك خمسٌ وثلاثون سَنَةً.

* **والموسم الثالث**: من ذلك الزمانِ إلى تمام خمسين سنةً، وذلك زمان الكهولة، وقد يقال: كهلٌ لما قبل ذلك.

* **والموسم الرابع**: من بعد الخَمسينِ إلى تمامِ السَّبْعينِ، وذلك زمان الشَّيْخُوخَةِ.

* **والموسم الخامس**: ما بعد السبعين إلى نهاية آخرِ العمر، فهو زمان الهَرَمِ.

وقد يتقدَّم ما ذكرنا من السنين ويتأخَّر، فلْنَرسمْها خمسةَ أبواب.





الباب الأول
في ذكر الموسم الأوّل

اعلم أنَّ هذا الموسم يتعلَّق معظمه بالوالدين، فهما يربِّيانه، ويعلِّمانه، ويحملانه على مصالحه، فلا ينبغي أن يَفْتُرا عن تأديبه وتعليمه، فإنَّ: «التعليم في الصِّغر، كالنَّقش في الحجر»[1].

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، قال: «علِّموهم وأدِّبوهم»[2].

فيعلِّمانه الطهارة والصلاة، ويضربانه على تركها إذا بلغ عَشْرَ سنين، ويحفِّظانه القرآن، ويُسمعانه الحديث، وما احتمل من العلم أمَراه به.

---

(١) روي ذلك في حديث لا يصح من حديث أبي الدرداء: أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ١٢٥)، وفيه مروان بن سالم الشامي متروك الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٤)، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٦٥٩): «رواته ثقات».

ويقبِّحان عنده القبيح، ويُحَسِّنان عنده المليح، ويحثّانه على المكارم على قدر ما يحتمل؛ فإنه موسم الزرع[1].

قال الشاعر:

لا تَسْــهُ عَــنْ أَدَبِ الصَّغِيــرِ وإنْ شَكَــا أَلَــمَ التَّعَــبْ
وَدَعِ الكَبِيــرَ لِشَــأْنِــهِ كَبِــرَ الكَبِيــرُ عَــنِ الأَدَبْ

وقال آخر:

إنَّ الغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَها اعْتَدَلَتْ وَلاَ يَلِيــنُ إِذَا قَــوَّمْتَــهُ الخَشَــبُ
قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ فِي ذِي الشَّيبَةِ الأَدَبُ

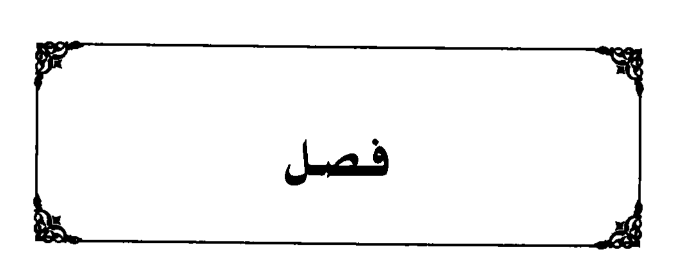
وكان عبدُ الملك بنُ مروان يحب ابنه الوليد، ولا يأمره بالأدب، فخرج لَحّاناً[2]، فقال: أضرَّ حُبُّنا بالوليد.

❑ ❑ ❑

---

(١) قال المصنف رحمه الله: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومَرن كان ردّه صعباً». «الطب الروحاني» له (ص ٦٠).

(٢) أي: يلحن في كلامه، ولا يقيم قواعد النحو فيه.



فصل

وقد يُرْزَقُ الصغيرُ الصبيُّ ذهناً من صغره، فيتخيَّر لنفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ الآية [الأنبياء: ٥١]، فذكر في التفسير: أنه كان ابن ثلاث سنين، فقال للكوكب والقمر والشمس ما قال، إلى أن قال: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٩].

فإذا عَبَرَ الصبي الخمسَ سنين، بان فهمه ونشاطه في الخير، وحسن اختياره لنفسه، وصلف نفسه عن الدنايا، أو عكس ذلك.

مرَّ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه على صبيان وهم يلعبون، فتفرَّقوا من هيبته، ولم يبرحِ ابنُ الزبير، فقال له: ما لكَ لم تبرح؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما الطريقُ ضيِّقة فأوسعَها لك، ولا لي ذنب فأخافَك.

وقال الرشيد لولد وزيره وهو في دارهم: أَيُّما أحسنُ، دارنا أو داركم؟

فقال: دارُنا، قال: ولم؟ قال: لأنك فيها.

ويتبيَّن فهم الصبـي وعلوّ همّته وقصرها باختياراته لنفسه، فإنَّ الصبيانَ تجتمع للَّعب، فيقول العالي الهمة: من يكون معي؟ ويقول القاصر الهمة: مع من أكون؟ ومتى فاقت الهمّة، وعلَتْ همّة الصبـي، آثر العلم.



فصل

فإذا راهق الصبـي فينبغي لأبيه أن يزوِّجه، فقد جاء في الحديث: «مَنْ بَلَغَ لَهُ وَلَدٌ، وأَمْكَنَهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَأَحْدَثَ الوَلَدُ، كَانَ الإِثْمُ بَيْنَهُمَا»[١].

والعجبُ من الوالد كيف لا يذكر حاله عند المراهقة، وما لقي وما عانى بعد البلوغ، أو كان قد وقع في زلّة، فلْيعلمْ أنَّ ولده مثله.

قال إبراهيم الحربـي[٢]: أصل فساد الصبيان بعضُهم من بعض.

---

(١) أخرجه المصنف في كتابه الآخر «ذمّ الهوى» (ص ٢٨١)، وإسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء، فإنَّ فيه جبارة بن المغلِّس، ومندل بن علي، ويحيـى بن عبد الرحمن بن أبـي لبيبة، وكلهم ضعفاء.

(٢) هو الإمام الجليل الصالح إبراهيم بن إسحاق الحربـي، أحد أئمة الحديث واللغة، وكان ذا صلة عظيمة بالإمام أحمد بن حنبل؛ قال: صحبته عشرين سنة صيفاً وشتاءً، وحرًّا وبرداً، وليلاً ونهاراً، فما لقيته إلاَّ وهو زائدٌ عليه بالأمس، ولقد كان يَقْدمُ أئمَّةُ العلماء من كل بلدٍ، وإمام كُلِّ مِصْرٍ، فَهُمْ بِجَلاَلَتِهِمْ، ما دام الرَّجُلُ مِنْهُم خارجاً عن المسجد، فإذا دخل المسجد صار غُلاماً مُتَعَلِّماً». (طبقات الحنابلة ١/ ٩٢، ٩٣).

وقوله هذا ذكره المصنف في «ذمّ الهوى» (ص ١١٦)، ومن لطائف كلماته قوله: =

ويندر شابٌّ يُؤْثر العلمَ على النكاح، ويعلم من نفسه الصبر، ويأمن على نفسه؛ فإنَّ أحمد بن حنبل رضي الله عنه لم يتزوَّج إلاَّ بعد الأربعين[1].

❑ ❑ ❑

= «ليس كلُّ غَيْبَةٍ جَفْوةً، ولا كل لقاءٍ مودةً، وإنما هو تقارب القلوب». (سير أعلام النبلاء ٩/١٦٨)، توفي رحمه الله تعالى سنة (٢٨٥هـ).

(١) انظر: «مناقب الإمام أحمد» للمصنف (ص ٣٧٣).

الباب الثاني

في الموسم الثاني

وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب

في ذكر الموسم الثاني، وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب.

وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه جهادُ النفس والهوى وغلَبَةُ الشيطان.

وبصيانة هذا الموسم يحصل القُرْبُ من الله عزَّ وجلّ، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم، وبالصبر فيه عن الزلل يُثْنَى على الصابرين، كما أثنى الله فيه على الصابر يوسف الصدِّيق؛ إذ لو زلَّ من كان يكون[1]؟

(١) قال المصنف في كتابه الآخر «صيد الخاطر» (ص ١٩٦): «قرأت سورة يوسف عليه السلام، فتعجبت من مدحه عليه السلام على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره بترك ما ترك، فتأمَّلت خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفة للهوى المكروه، فقلت: واعجبا! لو وافق هواه من كان يكون؟ ولما قد خالفه لقد صار أمراً عظيماً يضرب به الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده. وكل ذلك قد كان بصبر ساعة، فيا له عزًّا وفخراً».

قال النبي ﷺ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[1].

ويقول الله عزَّ وجلّ: «أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي! أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلائِكَتِي»[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والروياني في «مسنده» (١/ ٩٦، ٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٠٩) من حديث عقبة بن عامر بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٩٤) من حديث ابن مسعود، وضعفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٣٢).

فصل

وليعلم البالغُ أنه من يوم بلوغه قد وجب عليه معرفةُ الله تعالى بالدليل لا بالتقليد، ويكفيه من الدليل رؤيةُ نفسه، وترتيب أعضائه، فيعلم أنه لا بدَّ لهذا الترتيب من مرتِّبٍ، كما أنه لا بدَّ للبناء من بانٍ، ولا بدَّ لهذا البناء من باب[1].

ويعلم أنه قد نزل ملكان يصحبانه طول عمره، يكتبان عمله، ويعرضانه على الله تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠ ــ ١٢].

قال محمد بن الفضل[2]: منذ أربعين سنة ما أمليت على كاتِبَيَّ سيئةً، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما.

---

(١) ولا شك أنه لا يحصل إلاَّ بمعرفة الوحي الكريم المنزل على نبيّه ﷺ، فإنه بعث داعياً إلى الله ومنذراً ومبشِّراً ومعرِّفاً بالله عزَّ وجلّ، للمزيد انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزّ (ص ٦).

(٢) قال الحافظ الذهبي (سير أعلام النبلاء ١/ ٥٢٣): «الإمام الكبير العلاَّمة، شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس البَلْخي الواعظ»، ومن لطائف كلماته: «أنزل نفسك منزلة مَن لا حاجة له فيها ولا بدَّ له منها؛ فإنَّ مَن ملك نفسه عزَّ، ومن مَلَكَتْهُ ذلّ». انظر: «صفة الصفوة» للمصنف (٤/ ١٦٥) والقول المذكور فيه.

فلينظرِ العبدُ فيم يرتفع من عمله، فإن زلَّ فيرفع الزلل بتوبةٍ واستدراك.

ولْيغضَّ طرفَه، فقد قال الله عزَّ وجلّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقيل: «النظرُ إلى مَحَاسِنِ المرأةِ سهمٌ مَسمومٌ مِن سِهَام الشيطانِ، مَن تَرَكَهُ ابتغاءَ مَرْضَاتِي آتَيْتُهُ إيماناً يجدُ حَلاوتَهُ في قَلْبِهِ»(١).

ومَن استعمل الغضَّ سلم، فليكتف بالمرأة الواحدة، ولا يترخَّص لنفسه في كثرة الاستمتاع بالنساء، فإنه يشتت القلب، ويضعف القوى، وليس لذلك منتهى.

فائدة: كان بعض السلف يقول لنفسه: ما هاهنا إلاَّ هذه الكسرة، وهذه المرأة، فإن شئتِ فاصبري أو فموتي.

وكان خلق كثير من الأشياخ يتأسَّفون في حالة الكِبَر على تضييع موسم الشباب، ويبكون على التفريط فيه، فلْيُطل القيام من سيقعد، ولْيُكثر الصيام من سيعجز.

والناس ثلاثة: مَن استكثر عمره بالخير، ودام عليه، فذلك من الفائزين، ومن خلّط وقصَّر، فذاك من الخاسرين، ومن صاحب التفريط والمعاصي، فذاك من الهالكين.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣١٣، ٣١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٦٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٩٣) وإسناده ضعيف، قال الحافظ الذهبي: «إسحاق واهٍ، وعبد الرحمن الواسطي ضعَّفوه».

فلينظر الشاب في أيّ مقام هو، فليس لمقامه مثل، وليتلمح شرف بضاعتها وثمنها المستوفى بالصبر، فإنَّ الساعي يصبر عن زوجته مع كونه شابًّا شديد الشبق ليسبق، فيقال له: أحسنت، فليصبر الشاب ليقال له: ﴿ هَـٰذَا يَوۡمُكُمُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وليحذر زَلَلَه في الشباب، فإنها كعَيْبٍ قبيح في سلعة مستحسنة.

ومن زلَّ من الشباب، فلينظر أين لذَّتها، وهل بقي إلَّا حسرتها الدائمة التي كلما خطر ذكرها للقلب تألم، فصار ذكرها للقلب عقوبة.

ومن خرق ثوب التقى بيع بالخلق والمكسور.

قال أبو القاسم الجنيد[1] رضي الله عنه: لو أقبل عبد على الله عزَّ وجلّ ألف سنة، ثُمَّ أعرض عنه لحظة واحدة، كان الذي فاته أكثر مما حصل له[2].

وكان بعض السلف رحمه الله يقول: وددتُ لو أنَّ يَدِي قُطِعَت، وعُفِي لي عن ذنوب الشباب[3].

قال المصنف: وقلت يوماً في الوعظ: أيُّها الشابّ! أنت في بادية، ومعك جواهر نفيسة تريد أن تَقْدُمَ بها بلد الجزاء، فاحذر أن يتلقّاك غرار الهوى، فيشتريَ ما معك بدون ثمن، فإنك إذا قدمت البلد،

(١) هو الجُنيد بن محمد النهاوندي، انظر أخباره في: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ٢٥٥ ـ ٢٨٧)، و «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٦٦ ـ ٧٠).
(٢) «الحلية» لأبي نعيم (١٠/ ٢٧٨).
(٣) هو أبو بكر بن عيّاش؛ كما في «الحلية» لأبي نعيم (٨/ ٣٠٤).

فرأيت الرابحين، قلت: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، هيهات أن يرد الأسف ما سلف.

ومما قلتُ في هذا المعنى من الأبيات:

أَمَّــا الشَّبــابُ فظُلْمَــةٌ لِلمُهْتَــدِي ... وبــهِ ضَــلالُ الجــاهِــلِ المُتَمَــرِّدِ

فاقْمَعْهُ بالصَّبرِ الجَميلِ ودُمْ عَلَى ... الصَّــوْمِ الطَّــويــلِ فــإنَّــهُ كــالمِبْــرَدِ

واكْفُفْ لِسَانَكَ عَن فُضُولِ كَلامِهِ ... واحْفَظْهُ حِفْظَ الجَوْهَرِ المُتبَدِّدِ

واغْضُضْ جُفُونَكَ عَن حَرَامٍ واقْتَنِـعْ ... بِحَلالِ مَا حَصَّلْتَ تُحْمَدْ فِي غَدِ

ودَعِ الصِّبا فاللَّـٰهُ يَحْمَدُ صَابِراً ... يــا نَفْــسُ هٰــذا مَــوْسِــمٌ فَتَــزَوَّدِي

الصَّبْرُ عَنْ شَهَواتِ نَفْسِكَ نَوْمَةٌ[1] ... فاثْبُتْ وغالِطْ شَهْوَةً لم تَرْقُدِ

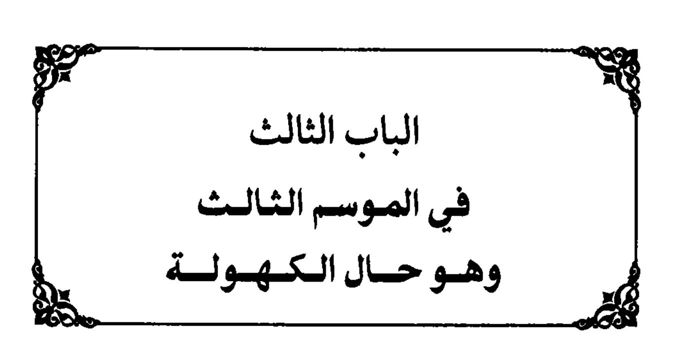
تُحْمَــدْ هُنَــاكَ إذا هَــواكَ تَــرَكْتَــهُ ... يا سَعْدُ تسعدُ بالمَعَاشِ الأَرْغَدِ

إِنْ شِئْتَ نَيْلَ الفَخْرِ فاصْبِرْ واصْطَبِرْ ... إِنَّ المَفاخِرَ في الطريقِ الأَبْعَدِ

❑ ❑ ❑

---

(١) في طبعة الجوائب: توبة.



الباب الثالث
في الموسم الثالث
وهو حال الكهولة

هذا الزمان فيه بقيةٌ من الشباب، وللنفس فيه ميلٌ إلى الشهوات، وفيه جهاد حسن، وإن كانت طاقات الشيب تُرِع وتزعج عن مهاد اللهو، وليكتف الكهل بنور الشيب الذي أضاء له سبيل الرحيل، وليعامل بالبقية المائلة إلى الهوى يربح، ولكن لا كربح الشباب.

قال الشافعي رحمه الله فيمن أتى امرأة وهي حائض: إن كان في أول الحيض، فعليه دينار، وإن كان في آخره، فنصف دينار، وهذا لأنه كان في أوله قريب عهد بالجماع ولا يعذر، وفي آخره قد بعُد عهده به فخفف عنه، وقال هذا القول أحمد بن رؤبة.

وممَّا قلتُه في هذا المعنى:

قَدْ رَأَيْتُ المَشِيبَ نوراً تَبَدَّى ... نورَ الطَّرِيقِ ثُمَّ ما إن تعدى[1]

كانَ نورُ الشبابِ عاريَّةً عِنْـ ... ـدِي فجاءَ المُعِيرُ حَتَّى اسْتَرَدَّا

جاءَنِي ناصِحٌ أَتَانِي نَذِيرٌ ... بِبَيَاضٍ أرَانِيَ الأَمْرَ جِدّا

(١) كذا في الأصول وفيه خلل.

دَعْ حَدِيثَ الصِّبا ورَامة والغور وَنجداً يـا سَعْـدُ وَاهْجُـرْ سُعْـدَى

وَتَــزَوَّدْ زادَ الشِّتــاءِ فَقَــدْ فَــا تَ رَبِيــعٌ ضيعـت فِيـهِ الـوَرْدَا

قِـفْ على البابِ سائلاً عَفْـوَ مَوْلاَ كَ فمـا إِنْ يَـراكَ يَـرْحَـمُ عَبْـدَا

وله أيضاً:

عِشْـتُ وَظِـلُّ الـزَّمـانِ مَمْـدُودُ والغُصْــنُ يَهْتَـزُّ والصِّبـا رُودُ[1]

فـأقبـلَ الشَّيْـبُ فـي عَسَـاكِـرِهِ أُسُــودُ غــابٍ فَغَـابَـتِ السُّــودُ

ـقَدْ كُنْـتُ في ظُلْمَـةٍ فَـأَشْرَقَ فَجْـ ـرُ المَشِيـبِ فاللَّيـل عنـهُ مَـطْرودُ

قَـدْ يَبِسَ الغُصْـنُ فـي نَضَـارَتِـهِ وَمــالَ بعــدَ اسْتِقــامَــةٍ عُــودُ

وجـاءكَ المَـوْتُ فـانْتَظِـرْهُ وذا الْـ ـعُمْــرُ يَسِيــرٌ والسيــرُ معــدودُ

لا بُــدَّ مِــنْ مُـزْعِـجٍ علـى غَـرَرٍ هَيْهــاتَ بــابُ البقــاءِ مَسْــدُودُ

السَّمْـعُ قَـدْ صُـمَّ عَـنْ مَـواعِظِـهِ والجَهْـلُ فـاشٍ والقَلْـبُ جُلْمُـودُ

وله أيضاً:

أَهَلْ يَعُودُ ما مَضَى لي رَاجِعا؟ أَمْ هَــلْ أَرَى نُجُــومَــهُ طَـوَالِعَــا

إِذا تَــذَكَّــرْت زَمــانــاً مَــاضِيــاً جَـدَّدَ حُـزْنـاً أَنْقَـضَ الأضـالِعـا

بادِرْ بذي الباقي وأَدْرِكْ مَا مَضَى لَعَــلَّ مَــا يَبْقــى يَكُــونُ نَــافِعــا

كــانَ الصِّبـا لَهْـواً عَجِيبـاً حـالُـهُ سُـرْعَـانَ مـا فُطمـتُ فيـهِ راضِعـا

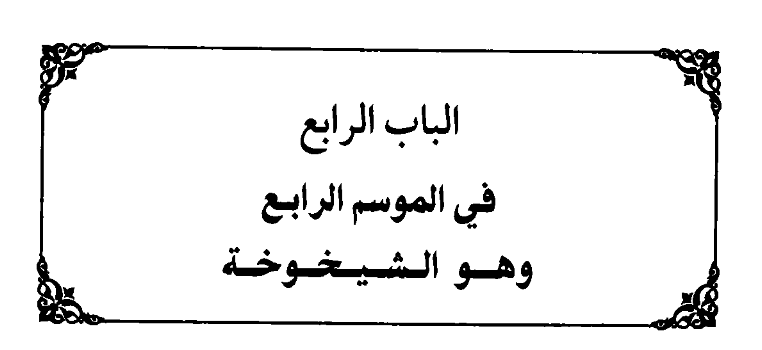
ما خِلْتُ قَبْلَ الشَّيْبِ أَنَّ مفرِقاً رُصِّــع بــالــدُّرِّ يـذمُّ الـرَّاصِعـا

يـا حَسْرَتي عـلى زَمانٍ قَـدْ مَـضَى وَذَهَبَــتْ أَيَّــامُـــهُ ضَــوائِعــا

❑ ❑ ❑

---

(١) الرود: الريح اللينة الهبوب.



الباب الرابع
في الموسم الرابع
وهــو الـشـيـخـوخـة

وقد يكون في أول الشيخوخة بقية هوى، فيثاب الشيخ على قدر صبره، وكلما قوي الكِبَرُ، ضعفت الشهوة، فلا يراد الذنب، كما قال الشاعر:

تــارَكَــكَ الــذَّنْــبُ فَتَــارَكْتَــهُ   بــالفِعْــلِ والشَّهْــوَةُ فــي القَلْــبِ
فــالحَمْــدُ للــذَّنْــبِ علــى تَــرْكِــهِ   لا لَــكَ فِــي تَــرْكِــكَ للــذَّنْــبِ

فإذا تعمَّد الشيخ ذنباً، فكأنه مراغم؛ إذ الشهوة المطالبة قد خرست.

ولـهـذا قـال رسـول الله ﷺ: «أَبْغَضُ الخَلْقِ إلـى اللَّـهِ شَيْخٌ زَانٍ»[1].

ومنهم من كأنه يقصد المراغمة، فيلبس الشيخ خاتم الذهب.

---

(١) أخرجه بنحوه النسائي (٥/ ٨٦)، وابن حبان (٥٥٥٨ ــ الإحسان)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٥٨) من حديث أبي هريرة، وإسناده صحيح.

فالويل كل الويل لمن لم ينهه شيبه عن عيبه، وما ذاك إلاَّ لخلل في إيمانه[1].

وقد يقول الشيخ العالم: علمي يدفع عني، وينسى أنَّ علمه حجّة عليه[2].

---

(١) قال المصنف في كتابه: «صيد الخاطر» (ص ٢٣٦): «أشد الناس بلهاً وتغفيلاً مَنْ عبر الستين وقارب السبعين، ـ فإن ما بينهما هو معترك المنايا، ومن نازل المعترك استعد ـ وهو مع ذلك غافل عن الاستعداد.
والله! إنَّ الضحك من الشيخ ما له معنى، وإنَّ المزاح منه بارد المعنى.
وإن تعرضه للدنيا ـ وقد دفعته عنها ـ يضعف القوى ويضعف الرأي.
وهل بقي لابن الستين منزل؟! فإن طمع في السبعين، فإنما يرتقي بعناء شديد؛ إن قام دفع الأرض، وإن مشى لهث، وإن قعد تنفس، ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها:
فإن أكل كدَّ المعدة، وصعب الهضم، وإن وطىء آذى المرأة، ووقع دنفاً ـ أي مريضاً ـ لا يقدر على رد ما ذهب من القوة إلى مدة طويلة. فهو يعيش عيش الأسير.
فإن طمع في الثمانين، فهو يزحف إليها زحف الصغير:

وعشر الثمانين من خاضها ... فإن المُلِمَّات فيها فنون

فالعاقل من فهم مقادير الزَّمان».

(٢) قال المصنف في «صيد الخاطر» (ص ١٣٩): «رأيت جماعة من العلماء يتفسَّحون ـ أي يتوسَّعون ـ، ويظنون أنَّ العلم يدفع عنهم، وما يدرون أنَّ العلم خصمهم، وأنه يُغفر للجاهل قبل أن يغفر للعالم، فتفكرت: فإذا العلم الذي هو: معرفة الحقائق، والنظر في سِيَرِ القدماء، والتأدُّب بآداب القوم، ومعرفة الحق وما يجب له، ليس عند القوم.
وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم، وليس كذلك العلم النافع؛ إنما العلم:
فهم الأصول، ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقّه. =

وقد رئي بعض مشايخنا في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وهو معرضٌ عنِّي، فقيل له: غَفَرَ لك، وأعرض عنك؟ فقال: نعم، وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم.

وقد رأيت بعض مشايخنا وكان مُفَرِّطاً، وهو عريان، وقد تعلق بثدييه ثلاثة كلاب صغار، والجَرْوُ منها يمصّ ثدييه.

وقد رئي يحيى بن أكثم[1] بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال ربِّي: يا شيخ السوء.

ورئي منصور بن عمّار[2] أيضاً في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قال لي: يا شيخ السوء[3].

وقال الفضيل[4]: يُغْفَرُ للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر

= والنظر في سيرة الرسول ﷺ وصحابته، والتأدُّب بآدابهم، وفهم ما نقل عنهم. العلم النافع: هو الذي يدع أعظم العلماء، أحقرُ عند نفسه من أجهل الجهّال».

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «التقريب» (ص ٦٨٢) وقال: «القاضي المشهور، فقيه صدوق، إلاَّ أنه رُمِي بسرقة الحديث، ولم يقع ذلك له...». توفي سنة (٢٤٢هـ).

(٢) هو منصور بن عمّار السُّلمي. قال الذهبي: كان عديم النظير في الموعظة والتذكير. ثم ذكر أنَّ الأئمة ضعَّفوا حديثه. «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٩٣)، و «الميزان» (٤/ ١٨٧) للذهبي.

(٣) الرؤى والمنامات لا تقام عليها عقائد وأحكام، وبأنَّ فلاناً شيخ خير أو سوء.

(٤) هو الإمام الثقة العابد المتألّه الفضيل بن عياض، قال عنه الإمام عبد الله بن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض، وعنه أنه قال: إذا نظرتُ إلى الفضيل جَدَّد لي الحزنَ، ومقتُّ نفسي، ثُمَّ بكى، وقال =

للعالم ذنبٌ واحد[1]. قال الله عزَّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة واحدة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات[2].

وقال: أخوف ما أخاف أن يقال لي: علمتَ؟

فإن قلتُ: لا، فقد علمتُ، وإن قلتُ: نعم، لم يبق آيةٌ آمرةٌ ولا ناهيةٌ إلاَّ وبَّختْني[3].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وممَّا قلته في ذكر الشيب:

غُرِرْنَا بالشَّبابِ المُسْتَعارِ ... أفقنا بالمَشِيبِ مِن الخُمارِ
أنارَ لنا المَشيبُ سَبيلَ رُشْدٍ ... ونَدَّمنا على خَلْعِ العِذارِ
فَوَا أَسَفا على عُمْرٍ تَوَلَّتْ ... لَذاذَتُهُ وأَبْقَتْ قُبْحَ عارِ
فَنَحْنُ اليَوْمَ نَبْكِي مَا فَعَلْنَا ... فَكَيْفَ وكَمْ وَقَعْنَا في خسارِ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَى حُزْنٍ وخَوْفٍ ... ونَدْبٍ في خُضُوعٍ وانْكِسَارِ
تعالَوْا نَبْكِ ما قَدْ كَانَ مِنَّا ... وقُومُوا في الدَّياجِي باعْتِذارِ

= إبراهيم بن أشعث: رأيت سفيان بن عيينة يُقَبِّل يدَ الفضيل مرتين. (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٤، ٤٣٨).

ومن غرر كلماته: «كفى بالله مُحبّاً، وبالقرآنِ مُؤنِساً، وبالموت واعظاً، وبخشية الله علماً، وبالاغترار جهلاً».

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٨/ ١٠٠).

(٢) «الحلية» (١/ ٢١١).

(٣) «الحلية» (١/ ٢١٣، ٢١٤).

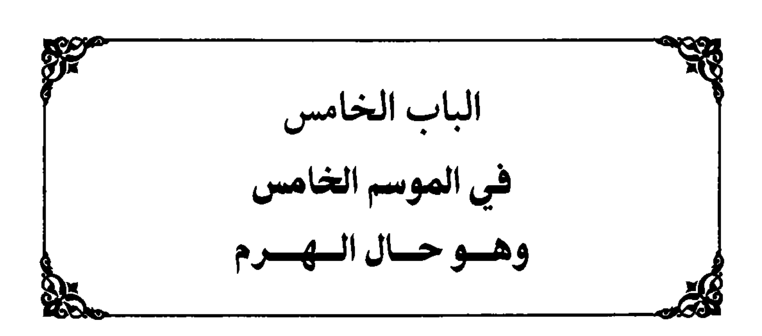
وما شَيْءٌ لِمَحْوِ الذَّنْبِ أَوْلَىٰ مِنَ الأَحْزَانِ والدَّمْعِ الغِزَارِ
سَتَدْرِي يَا مُفَرِّطُ صِدْقَ قَوْلِي إِذَا غُودِرْتَ فِي بَطْنِ الصَّحَارِي
وخَلاَّكَ الرَّفِيقُ أَسِيرَ فَقْرٍ تُرَافِقُكَ النَّدامَةُ في القِفَارِ
وقَدْ فَازُوا بِمَا حَازُوا جَمِيعاً وَأَنْتَ تَصِيحُ وَيْلِي وافْتِقَارِي
فَخُذْ زَاداً لِما يَكفِيكَ يَا مَنْ تَرَحُّلُه إلى تِلْكَ الدِّيارِ
(تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرارِ)

وله أيضاً:

أَشَيْبٌ وعَيْبٌ إِنَّ ذا لَبَغِيضُ سَواد صِحَافٍ والغَدائِرُ بِيضُ
مكاثِرَةٌ للَّهْوِ والضَّعْفُ زَائِدٌ وجِسْمٌ سَقِيمٌ ذَائِبٌ ومَهِيضُ
إذا هَمَّ ذو شَيْبٍ بِذَنْبٍ فَإِنَّهُ بَغِيضٌ، وما اللَّهْوُ فِيهِ بَغِيضُ
مَرِيضٌ مِنَ الضَّعْفِ الَّذِي أَذْهَبَ القُوَى وحُقَّ لِهَـٰذا أَنْ يُقَالَ مَرِيضُ

❑ ❑ ❑





الباب الخامس
في الموسم الخامس
وهــو حــال الــهــرم

في الحديث: «اِبْنُ الثَّمَانِينَ أَسِيرُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»[1].

ولـم يَتَـوَفَّ زمـانَ الهَـرَمِ إلَّا تـداركَ مـا مضـى، والاستغفـارُ والدعـاء عمـل مـا يمكـن مـن الـخيـر اغتنامـاً للسـاعـات، والتـأهُّـب للرحيل.

وكان سريّ السَّقطي لا ينام إلا غلبة[2].

ودخلـوا علـى أبـي القـاسـم الجنيـد ــ وهـو فـي المـوت، وهـو يـركـع ويسجـد ــ، فـأراد أن يثنـي رجلـه فـي صـلاتـه، فمـا أمكـن لخـروج الـروح منهـا، فقـال لـه رجـل: مـا هـذا

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٣٥٨٩) من حديث عبد الله بن أبي بكر الصديق، وإسناده ضعيف، وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٨٤): «في إسناده من لا يعرف»، وأفاض الحافظ في ذكر طرق هذا الحديث ــ التي لا تزيده إلاَّ وهناً ــ في «معرفة الخصال المكفرة» (ص ٨٩ ــ ١١٨).

(٢) هو السَّرِيّ بن المُغَلِّس السَّقطِيّ، كان أحد العباد، توفي سنة (٢٥٣هـ).

يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نِعَمُ الله أكبر[1].

وكان عامر بن عبد القيس يصلِّي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلقيه رجل فقال: أكلمك كلمة. فقال: أمسك الشمس.

وقال لرجل سأله: اعجل فإني مبادَر، قال: وما الذي تبادر؟ قال: خروج روحي[2].

وقال عثمان الباقلّاني[3]: أبغضُ الأشياء إليَّ وقتُ الفطر؛ لأني أشتغل بالأعمال عن الذكر.

وكان داود الطّائي[4] يشرب الفتيت، ولا يأكل الخبز، فقيل له في ذلك، فقال: بين شرب الفتيت ومضغ الخبز قراءة خمسين آية.

ودخل قوم على عابد يعودونه، فرأوه، فقالوا: لعلنا أشغلناك، فقال: أَصْدُقُكُمْ؟ كنتُ أقرأ، فمنعتموني مِن وِرْدِي.

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (١٠/ ٢٨١).

(٢) «قصر الأمل» لابن أبي الدنيا (١٣٦).

(٣) هو عثمان بن عيسى الباقلاني، قال الخطيب البغدادي: كان أحد الزهّاد المتعبِّدين، منقطعاً عن الخلق.
والخبر في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣١٣).

(٤) هو داود بن نُصير الطائي، أحد الزهّاد، كان الإمام سفيان الثوري يعظمه، ويقول: أبصر داود أمرَه. «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٥ ـ ٣٦٧)، و «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٢).
والخبر في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٥٣).

ومن نظر في شرف العمر اغتنمه، ففي الصحيح: «مَنْ قالَ سُبْحَانَ اللَّـهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ»[1].

وقَال الحسن رحمه الله: الجَنَّةُ قِيعانٌ، والملائكةُ تغرِسُ، فربما فتروا، فيقال لهم: ما لكم فترتم؟ فيقولون: فَتَرَ صاحبنا، فقال: أمدُّوهم رحمكم الله.

وقد رأينا جماعة من الأشياخ يرتاحون إلى حضور الناس عندهم، وسماع الأحاديث التي لا تنفع، فيمضي زمانهم في غير شيء، ولو فهموا، كانت تسبيحةٌ أصلحَ.

وهذا لا يكون إلاَّ من الغفلة عن الآخرة؛ لأنَّ بتسبيحة واحدة يحصل الثواب على ما ذكرناه، والأحاديث الدنيوية تؤذي ولا تنفع.

وكان أبو موسى الأشعري يصوم في الحرِّ، فيقال له: أنت شيخ كبير، فقال: إني أعده لعسير طويل.

وقيل لعابد: ارفق بنفسك، فقال: الرفقَ أطلبُ.

وقيل: جاء بعض أصحاب السَّرِي يزوره، فوجد عنده جماعة، فقال: يا سريُّ! صرت مَناخاً للبطالين، ثُمَّ ذهب ولم يقعد.

فمن عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرِّط في لحظة منه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، وابن حبان (٨٣٢)، والحاكم (١/ ٥٠١)، وهو حديث صحيح، وليس في البخاري ومسلم.

فلينظر الشاب في حراسة بضاعته، وليتحفَّظ الكهل بقدر استطاعته، وليتزوَّد الشيخ للّحاق بجماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ في ساعته، نفعنا الله وإيّاكم بعُلومِنا، ولا سلبنا وإيّاكم فُهومَنا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا، ولا جعل علمنا حجةً علينا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

نجز الكتاب، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.



نموذج من خط ابن الجوزي، وذلك من كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة، وقد انتهى من نسخه سنة (٥٤٣هـ)، وكان عمره آنذاك (٣٣) سنة، نسخة شستربتي برقم (٣٣٧٠)، قال سِبْط ابن الجوزي: سمعت جدي يقول: بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة.

رِوَايَةُ الكِتَابِ وَالاتِّصَالُ بِمُؤَلِّفِهِ

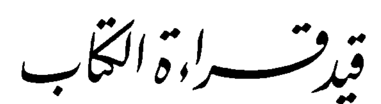
أروي هذا الجزء لابن الجوزي عن جمع من شيوخنا الأجلَّاء، منهم:

المسند الجليل الشيخ أديب الخطباء أحمد نصيب المحاميد الدِّمشقي إجازة، عن الشيخ محمد أبي الخَيْرِ الميداني الدمشقي، عن سليم المسوتي الدِّمشقي، عن أحمد مسلم الكُزْبري، عن عبد الرحمن بن محمد الكُزْبري، عن أبيه محمد بن عبد الرحمن الكُزْبري، عن والده عبد الرحمن الكُزْبري، عن أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحَنْبليّ، عن والده عبد الباقي بن عبد الباقي الحَنْبَليّ، عن النَّجم الغَزِّي، عن والده البدر الغَزِّي، عن شمس الدِّين ابن طولون، عن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي[1] بقراءة هذه الرسالة عليه في المدرسة الظاهرية عن أبي حفص عمر بن التَّقِيِّ الراميني، عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن المُحب، عن القاضي سليمان بن حمزة المقدسي، عن الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي.

ح قال ابن طولون: قال شيخنا ابن عبد الهادي: وأخبرنا به عالياً جدي أحمد بن حسن بن عبد الهادي، أخبرنا الصَّلاح محمد بن أحمد بن أبي عمر، أخبرنا الفخر عليّ بن البخاري السَّعدي قال: أنبأنا، وقال الضياء: أخبرنا ابن الجوزي، مصنِّف هذه الرسالة.

❏ ❏ ❏

(١) هذا هو السند الذي ساقه ابن طولون فيما انتقاه من هذه الرسالة.



● انتهيتُ من مقابلته بمطبوعة الجوائب في المدرسة الجوزية التي أسَّسها محيي الدِّين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ابن مصنِّف هذه الرسالة، يوم الاثنين، في الثامن من شعبان المكرم، سنة (١٤٢٣هـ).

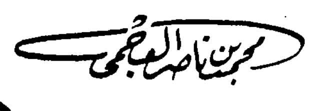
وذلك بقراءة أخي الشيخ محمد مجير الخطيب بدمشق المحروسة قبليّ جامعها.

أعاد الله أيّامها المباركة، وعمرها بالعلم والعلماء.

● ثُمَّ انتهيتُ من مقابلته بأصله المخطوط من المكتبة العمرية، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء، التاسع من شعبان المعظَّم سنة (١٤٢٣هـ)، تحت ظل حائط المدرسة العمرية مقابلاً لبابها المقفل؟! أعاد الله لها أيّامها، وفتح أبوابها للطالبين، وأقام فيها العلماء المهديين، ولا زالت منهلاً للواردين آمين.

وقد قابلها معي أيضاً أخي الشيخ الجليل محمد مجير الخطيب، والحمد لله ربّ العالمين.

إيهِ أحاديثَ نَعْمانٍ وساكنِهِ ... إنَّ الحديثَ عن الأَحْبابِ أَسمارُ
أُفَتِّشُ الريحَ عنكم كلَّما نَفَحَتْ ... مِنْ نَحوِ أَرْضِكُمُ نَكْباءُ مِعْطارُ









الفهارس

* فهرس الآيات القرآنية .
* فهرس الأحاديث النبوية .
* فهرس الأعلام .
* المحتوى .



فهرس الآيات القرآنية

❑ ❑ ❑

فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأعلام[1]

(١) الذين وردوا في أصل الرسالة.

❑ ❑ ❑

المحتوى

الموضوع	الصفحة

• • •

من آثار المحقق

١ ــ **فضل علم السَّلف على علم الخلف**: للحافظ زين الدِّين عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).

٢ ــ **نور الاقتباس في مشكاة وصيَّة النبي ﷺ لابن عباس**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).

٣ ــ **تفسير سورة الإخلاص**: لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢١هـ.

٤ ــ **تفسير سورة النصر**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢١هـ.

٥ ــ **زغل العلم**: للحافظ شمس الدِّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت ١٤٠٤هـ.

٦ ــ **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي**: للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٠٩هـ.

٧ ــ **التنقيح في حديث التسبيح** (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن): للحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٨ ــ **تحفة الإخباري بترجمة البخاري**: للحافظ ابن ناصر الدِّين الدمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٩ ــ **كتاب الأربعين**: للحسن بن سفيان، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ.

١٠ ــ **صفحات في ترجمة الإمام السفاريني**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١١ ــ **علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيَّان حياته وآثاره**: (تأليف)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.

١٢ ــ **ثلاث تراجم نفيسة للحافظ الذهبي**: المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت ١٤١٥هـ.

١٣ ــ **الخطب المنبرية**: للعلاَّمة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ.

١٤ ــ **نوادر مخطوطات علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيَّان**: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.

١٥ ــ **أخصر المختصرات**: للبلباني مع حاشيته، لابن بدران، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ.

١٦ ــ **مشيخة فخر الدِّين ابن البخاري**: المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث)، الكويت ــ الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.

١٧ ــ **أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف**: (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.

١٨ ــ **روضة الأرواح**: لعبد القادر بن بدران الدمشقي، الكويت ــ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.

١٩ ــ **درَّة الغوَّاص في حكم الذَّكاة بالرصاص**: لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٢٠ ــ **علاَّمة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢١ ــ **حياة العلاَّمة أحمد تيمور باشا**: بقلم محمد كردعلي وبعض معاصريه، (جمع وعناية)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٧هـ.

٢٢ ــ **سير الحاثّ إلى علم الطلاق الثلاث**: لابن عبد الهادي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٣ ــ **بداية العابد وكفاية الزاهد**: للعلاَّمة عبد الرحمـٰن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٤ ــ **الألفية في الآداب الشرعية**: لابن عبد القوي، (عناية وضبط)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٨هـ.

٢٥ ــ **نتيجة الفكر فيمن درَّس تحت قبة النَّسر**: للعلاَّمة عبد الرزاق بن حسن البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٦ ــ **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات**: للإمام محمد بن بدر الدِّين بن بلبان الدمشقي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٧ ــ **ثبت مفتي الحنابلة بدمشق الشيخ عبد القادر التغلبي**: تخريج تلميذه مفتي الشافعية محمد بن عبد الرحمـٰن الغزِّي، (عناية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٨ ــ **آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية ــ بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ.

٢٩ ــ **تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين**: للعلاَّمة قاسم بن صالح القاسمي (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢٠هـ.

٣٠ ــ **مفتاح طريق الأولياء**: لابن شيخ الحَزَّامين أحمد بن إبراهيم، (عناية وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٢٠هـ.

٣١ ــ **نبذة لطيفة ونصيحة شريفة**: للشيخ حسن بن أحمد سبط الدسوقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٣٢ ــ **الوعظ المطلوب من قوت القلوب**: للعلاَّمة جمال الدين القاسمي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٣ ــ **العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية**: لصفي الدين البخاري، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٤ ــ **إرشاد العباد في فضل الجهاد**: لحسن بن إبراهيم البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٥ ــ **سر الاستغفار عقب الصلوات**: للعلاَّمة جمال الدين القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٦ ــ **ثمرة التسارع إلى الحب في الله وترك التقاطع**: للعلاَّمة القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٧ ــ **أديب علماء الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار**: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٨ ــ **بلوغ القاصد جلّ المقاصد لشرح بداية العابد وكفاية الزاهد**: للعلاَّمة عبد الرحمٰن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٩ ــ **إجازة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ**: للشيخ أحمد بن عيسى والشيخ راشد بن عيسى، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٢هـ.

٤٠ ــ **كشف المخدَّرات لشرح أخصر المختصرات**: للعلاَّمة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٣هـ.

٤١ ــ **تفريج الكروب في تعزيل الدُّروب**: للعلاَّمة عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٣هـ.

٤٢ ــ **مأخذ العلم**: لأحمد بن فارس اللغوي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٤هـ.

٤٣ ــ **إجازة مفتي الشافعية بدمشق محمد بن عبد الرحمن الغَزِّي**: للشيخ علي بن مصطفى الدبّاغ، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٥هـ.

من إصدارات المحقق الجديدة
سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة
في جوامع ودور الحديث بدمشق

٤٤ ــ (١) كتاب الأوائل: لابن أبي عاصم.

٤٥ ــ (٢) الأربعون الأبدال العوالي المسموعة بالجامع الأُموي بدمشق: للحافظ ابن عساكر.

٤٦ ــ (٣) تنبيه النائم الغَمْرِ على مواسم العُمْرِ: لابن الجوزي.

٤٧ ــ (٤) حفظ العمر: لابن الجوزي أيضاً.

٤٨ ــ (٥) ثبت الإمام السفاريني الحنبليِّ وإجازاته لطائفة من أعيان علماء عصره.

٤٩ ــ (٦) مشيخة ابن إمام الصخرة: تخريج ابن رافع السلامي.

٥٠ ــ (٧) ثبت مسند عصره شمس الدِّين البابلي، المسمَّى: منتخب الأسانيد: لأبي مهدي الثعالبي.

٥١ ــ (٨) ومعه المربى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي: للزبيدي.

٥٢ ــ (٩) ستة مجالس من أمالي أبي يعلى الفرَّاء.

٥٣ ــ (١٠) جزء فيه سبعة مجالس: لأبي طاهر المخلص.

٥٤ ــ (١١) الأحاديث المسموعة في جوامع دمشق وضواحيها: لشمس الدِّين ابن طولون الدِّمشقي.

هذه السلسلة من إصدارات دار البشائر الإسلامية ببيروت، ودار الصديق بدمشق.

• • •

الكتب والأجزاء المقروءة
في جوامع ودور الحديث بدمشق
دار الحديث الأشرفية البرانية



تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية